Quotidien

# شوف تشوف

رشيد نيني
r_niny@yahoo.fr

# فين آ الزين ما نشوفوكش !

من اليوم فصاعدا ستكون مهمة اللوايطية الذين يتسكعون في شوارع المملكة وراء الفتيات صعبة للغاية، كما ستكون مهمة ممارسي التحرش الجنسي في أماكن العمل أصعب من السابق. والسبب هو أن مجموعة من الفتيات المنتميات إلى جمعية النساء الديموقراطيات اجتمعن وأصدرن دليلا مفصلا يشرح للنساء الإجراءات القانونية التي يمكن أن يلجأن إليها لمتابعة المتحرشين بهن. والحقيقة أن الوقت حان لإصدار مثل هذا الدليل لتنظيم واحدة من أعرق الرياضات الشعبية في المملكة، والتي يزداد هواتها وممارسوها بشكل يبعث على القرف. وبجولة سريعة في شوارع المدن المغربية يمكن أن ترى وتسمع عشرات الرجال يتحرشون بالنساء أمام الملأ، مسلحين بقاموس خاص من الكلمات التي تختلف رقتها أو رعونتها حسب رد فعل الضحية. ولهؤلاء اللوايطية المحترفين دراية كبيرة بنفسية المرأة المغربية، فهم يحفظون جملا في الغزل، أحيانا تكون من السمطة لتحت، ومجاملات مصاغة بعناية شديدة لا يتوقفون عن ترديدها على مسامع كل الفتيات اللواتي يصادفوهن في الطريق.

وبعضهم لديه أوقات محددة لممارسة هذه الرياضة، فتجده لا يمارسها إلا مساء بعد الخروج من العمل، والبعض الآخر متفرغ لها طيلة النهار. بمجرد ما يضع رجله في الشارع حتى يبدأ الحركات التسخينية الأولى للسانه. لحسن حظهم أن اللسان لا يصاب بالكلاكاج، وإلا لكان أغلبهم أصيب باللقوة !

غالبية الرجال في المغرب يعتقدون أن القانون لا يعاقب على التحرش بالنساء في الشارع، سيقول لي بعضكم إنه رأى بعينيه كيف أن عناصر من شرطة القرب يطلون من سياراتهم الكات كات لمغازلة بنات المدارس، وإذا كان رب البيت للطر ضاربا فشيمة أهل البيت الرقص، كما يقول المثل.

والواقع أن القانون واضح في هذا الباب، فالتحرش معاقب عليه، ويمكن أن ينتهي بصاحبه أمام القاضي إذا قررت الضحية أن تتابع المتحرش بها. وهنا أفتح قوسا لأطرح سؤالا، هل كل النساء والفتيات لديهن موقف سلبي من هؤلاء الرجال الذين لا يستطيعون رؤية واحدة منهن دون أن يهمسوا في آذانهن بكلمة غزل. لا أعتقد، فهناك نوع من النساء إذا خرجن إلى الشارع ولم يسمعن كلمات الإطراء والإعجاب تتقاطر عليهن من أفواه الرجال يعدن إلى البيت مصدومات وهن على وشك الوقوع في أزمة عصبية، فيجلسن أمام المرآة وهن يبحثن عن السبب الكامن وراء تجاهل الرجال لهن. وبعض النساء يتباهين فيما بينهن بعدد الرجال الذين غازلوهن في الطريق أو الحافلة، ويعتبرن ذلك مقياسا حاسما في تحديد درجة القبول التي يحظين بها عند الرجال. وفي المقابل هناك نساء يضايقهن أن يقتحمهن الرجال بكلماتهم المكررة التي يحفظونها عن ظهر قلب. فين آ الزين، مانشوفوكش، اللي بغاك فين يلقاك، راني كانموت، إلى آخره من أسلحة الدمار الشامل التي تستعمل ضد النساء في هذا البلد.

الدليل الذي أصدرته هؤلاء الفتيات مهم للغاية، لكنه يتحدث فقط عن التحرش الذي تقع النساء ضحيته ويغفل الحديث عن التحرش الذي يعانيه الرجال بسبب بعض النساء. وهو تحرش غير لفظي طبعا، لكنه يتخذ الإغراء كسلاح فتاك يحول الناسك المتعبد إلى مراهق مستهتر !

والحقيقة أن هناك نوعا من النساء يحترفن فن الإغراء، فتراهن خارجات من بيوتهن على الساعة السابعة صباحا ذاهبات إلى العمل بلباس السهرة وكأنهن خارجات سواري. وكلما مرت إحداهن بجانب رجل سحبته وراءها بعطرها المدوخ، وكم من رجل يكون ذاهبا في اتجاه وعندما تمر بجانبه واحدة من هؤلاء ينسى رأسه ويسمح في الخدمة ويتبع صاحبة دعوته مثل المضبوع. وبالأمس في شارع الزرقطوني بينما كنت ذاهبا إلى المصحة لمراجعة طبيب العظام بسبب توعك وقع لي في القدم ماشكيت عليكم (لحسن الحظ أننا لا نكتب بأرجلنا كما يصنع البعض) شاهدت امرأة في مقتبل العمر من الوزن الثقيل تسير متبخترة على الرصيف وقد وضعت الوالكمان في أذنيها، ربما لكي لا تسمع تنهدات وآهات الرجال المساكين الذين تمر أمامهم وقد عرت ذراعيها وكتفيها فيما لم تفلح الميني جيب التي لبستها في إخفاء الشيء الكثير من جزئها السفلي. وكعادتي في مثل هذه الديكورات لا أركز على المشهد بقدر ما أركز على تصرفات الرجال الذين يتابعون المشهد، خصوصا أولئك الرجال الذين يحترفون لعبة التينس على أرصفة المقاهي والذين يديرون رؤوسهم ذات اليمين وذات الشمال طيلة النهار بحثا عن النصوص. فرأيت عيون بعضهم توشك أن تسقط في فناجين القهوة التي أمامهم، ورأيت كيف عرقل سائق حركة المرور بسببها عندما انعطف فجأة إلى اليمين دون سينيال فقط لكي يخفض السرعة ويسير بجانبها لكي يعرض عليها أخذها بسيارته إلى حيث تريد. كل هذا يحدث فيما هي مرفوعة عن هذا العالم، تسير متبخترة وهي تستمع إلى الموسيقى تاركة عباد الله الطايح كثر من النايض !

لكن التحرش الخطير في نظري هو التحرش بالنساء في أماكن العمل. وهذا النوع من التحرش أصبح عندنا في المغرب ضريبة تدفعها النساء في أغلب المؤسسات سواء كانت خاصة أو حكومية من أجل أن يحافظن على وظيفتهن أو من أجل أن يترقين في السلم الإداري. وفي أغلب المؤسسات هناك موظفات يطلق عليهن موظفات الكانابي، وهن أولئك النساء اللواتي يقبلن أن ينمن مع المدير في مكتبه المجهز بالكانابي للحالات الطارئة، مباشرة بعد إجراء امتحان الدخول. فبعض المديرين المكبوتين حولوا الممارسة الجنسية إلى شرط أساسي يجب على المرشحات استيفاؤه من أجل الحصول على منصب العمل.

بلا شك هناك الآلاف من الموظفات اللواتي يعانين بصمت من تحرشات رؤسائهن المباشرين في العمل. يحدث هذا في كل دول العالم وليس فقط عندنا، الفرق الوحيد أن النساء في الدول الأخرى يلجأن إلى القضاء ويفضحن المتحرشين بهن في الصحافة، أما عندنا فالصمت هو القانون السائد. والسبب هو الخوف من الشوهة والخوف من ضياع المنصب بسبب غياب العدل في حالة اللجوء إلى القضاء. لذلك تصبر المرأة على المتحرشين بها، وتعتبر ذلك ضريبة يومية يجب أن تؤديها المرأة عندما تقبل الخروج إلى سوق العمل.

ولهذا السبب ستشرع كاتبات هذا الدليل في توزيعه على المؤسسات التعليمية وأماكن العمل حتى تتعرف النساء والفتيات على حقوقهن والإجراءات التي يمكن أن يقمن بها ضد كل رجل لا تربطهن به صله ويتجرأ على أن يقول لإحداهن :

- فين آ الزين ما نشوفوكش !

الجواب من اليوم فصاعدا سيكون هو :

- وعلاش لا آ الزين، نتشاوفو غدا... قدام القاضي !